مع الدعاة
في غربتهم

عبد الوهاب الطريري

منشـورات مؤسسـة إمام للتَّدريب والتَّطوير (٢)

مع الدعاة
في غربتهم

عبـد الوهاب الطريري

الآراء التي يتضمّنها هذا الكتاب لا تعبّر بالضّرورة عن وجهة نظر المؤسّسة

جميع الحقوق محفوظة لمؤسسة إمام للتدريب والتطوير.
لا يجوز نسخ الكتاب أو طباعته إلا بإذن خطيٍّ من المؤسسة.
للتواصل معنا: WWW.Imam.Academy

E-mail: info@imam.academy
Phone: +4401613273639
Adress: Advantage Business Centre, 144-132 Great Ancoats Street.
Manchester. M4 6DE

تصديرٌ

الحمد لله وحده، والصَّلاة والسَّلام على من لا نبيَّ بعده، وبعد:

فللإمام المغترب أوضاعٌ تختلف عن غيره من الأئمَّة في الدُّول الإسلاميَّة، فغربة الوطن، وغربة الدِّين، وغربة الثَّقافات، وغربة العادات، لها انعكاساتها الإيجابيَّة والسَّلبيَّة على الأئمَّة في دول الأقليَّات، وعلى الحالة الدِّينيَّة بصفةٍ عامَّةٍ.

وقد جادت قريحة شيخنا الدُّكتور عبد الوهَّاب الطّريري بخواطر وحكم أثناء زيارة عددٍ من المراكز الإسلاميَّة في دولٍ مختلفةٍ، وقد يسَّر الله فيها لقيا الأئمَّة والدُّعاة ومدراء المراكز الإسلاميَّة، واللقاء بالجاليات الإسلاميَّة من مختلف الأجناس والأعراق، وتمَّ - بحمد الله- الاطِّلاع على أحوالهم والوقوف على أنشطتهم، ما يسرُّ الخاطر، ويبهج الفؤاد.

هذا، وقد رأت المؤسَّسة تفريغ هاتيك الخواطر، وعرضها على الدُّكتور الطريري، ثمَّ تنقيحها وتصحيحها، ونشرها وترجمتها؛ ليعمَّ النفع، وينتشر الخير بإذن الله. وهي خواطر جديرةٌ بالاهتمام، وخليقةٌ بالمدارسة، كيف لا؟! وقد عركتها سنيّ التَّجارب، وأنضَجتها الخبرة الواسعة في ميادين الدَّعوة

وساحات العلم.

وإنَّ المؤسَّسة إذ تصدِّر لهذا المنشور الثَّاني من سلسلة منشوراتها الخاصَّة بالأئمَّة والدُّعاة، لتبتهل إلى الله العليَّ القدير أن يجزي كلَّ من ساهم خير الجزاء، وأن ينفع بهذه المؤسَّسة وما تقوم به، إنَّه سميعٌ مجيب الدُّعاء.

والحمد لله ربِّ العالمين.

الفقير إلى عفو ربِّه

محمّد علي بَلَاعو

المملكة المتَّحدة

الخميس 04 رمضان الأبرك 1445هـ،

14 مارس 2024م.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إلى إخوتي الأئمة والدعاة فوق كل أرض وتحت كل سماء..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، تحية من عند الله مباركة طيّبة، وبعد:

فلقد سعدت بزيارة مراكز إسلامية في بلاد الدعوة ومهاجر الدعاة، ورأيت من اجتهادهم وإنجازهم ما ملأ النفس إعجاباً بهم وغبطةً لهم، فهم الامتداد التاريخي لدعوة الرسل ودعاة الصحابة الذين هاجروا بدعوة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الآفاق: مصعب بن عمير، ومهاجرو الحبشة، والمهاجرون إلى المدينة، في قافلةٍ ممتدّة عبر الزمن، طليعتها أنبياء الله ورسله ثم تتعاقب جيلاً إثر جيل، يصطفي الله لها مِن كل جيل خياره، ليكونوا حملة دينه ومبلّغي رسالاته.

وكنت في كل مرةٍ ألقاهم أشعر أني أتزوّد بمدد روحيّ، وطاقة نفسية عالية، فكثير من هؤلاء الإخوة نموذج للتفاني والاستغراق في العمل، والتلذذ بالإنجاز.

وكنت في نشوة هذه اللقاءات أتفاعل معهم ببعض الخواطر من وحي اللقاء، وأسمع منهم بعض الإفادات، فرأيت جمعها

في هذه النقاط المختصرة، لتكون رسالة تذاكر وتناصح، تؤكد ما ذكر، وتُذَكر بما لم يذكر، وانتظر ممن اطلع عليها من إخواني إفادتي بمرئياتهم من إضافة أو استدراك، سائلاً الله أن يجعلنا من المتعاونين على البر والتقوى، والمتواصين بالحق والصبر، وأن ينفع بإخواننا الدعاة، ويبارك في دعوتهم ويوفقهم في جهودهم، فقد رأيت من أعمالهم وثمارهم ما يُبهج النفس ويبعث الأمل، ويجدّد العزائم، ويحرّك الهمم، والله الموفق والهادي إلى سواء السّبيل.

عبد الوهاب الطريري

باشاك شهير ـ إسطنبول

29/ 8/ 1445 هـ

المهاجر بدعوته

ينبغي أن يشعر كل واحدٍ منَّا أنَّه مهاجر في ذات الله عَزَّوَجَلَّ، وأنَّه يسعى في الأرض يبحث عن المراغم والسَّعة، وإذا اغترب إنسان بهذه النية فتح الله له أبواب فضله. قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾ [النساء: 100]. ولا يمكن أن يعِد الله المهاجر بالسّعة ثمَّ ينقله إلى ضيقٍ، وإنما سينقلك إلى السَّعة. وأهم شيءٍ أن يهاجر الإنسان بهذه النية وهو أنّه مهاجرٌ في ذات الله، وأنه هاجر يريد سعةً لبلاغ رسالة الله. فإن اختل الأمر عليك فراجع قصدك، وصحِّح نيّتك.

إننا في هجرتنا نسير خلف أنبياء الله ورسله، فنبي الله إبراهيم هاجر، ولوط هاجر، ويعقوب هاجر، ويوسف هاجر، وموسى هاجر، ثمَّ جاء نبينا صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ليكون أشرف مهاجرٍ، ونحن في هذا العصر نسير على إثرهم.

فالهجرة للدَّعوة سبقنا إليها أنبياء الله ورسله، وسبقنا إليها صحابة نبيّنا صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ومنهم مهاجرو الحبشة، ومصعب بن عمير رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ثم المهاجرون إلى المدينة، ونحن الآن في هذه الآفاق ينبغي على كلُّ واحدٍ منَّا أن يستشعر أنَّه مرسل من نبيّه محمَّدٍ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كما أُرسلوا، ومهاجر كما هاجروا.

لقد كان النَّبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يبثّ في روع الصَّحابة أنَّ كل واحدٍ

منكم هو رسولٌ مبعوث برسالة الله إلى البشرية، فقال لهم: «إِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ»[1]. فخاطبهم على أنهم مبعوثون، وأسند البعث إليهم مباشرة؛ لأنهم مبعوثون بما بُعث به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولِذا قال رِبّعيّ بن عامر لقائد الفرس: إنّ الله ابتعثنا لنُخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد. فلاحِظ قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنّما بُعثتُم». وقول رِبعيّ: «إنّ الله ابتعثنا».

وفي واقعنا المعاصر نماذج دعوية هي قدوات معاصرة، استفادت من إمكانات العصر المتاحة، وطورت فعالية الدعوة.

من الأمثلة على ذلك الشيخ الدكتور عبد الرحمن السميط رحمه الله، والذي أقام قرابة ثلث قرن في إفريقيا داعيةً إلى الله عَزَّوَجَلَّ، وبقيت آثاره في القارة الإفريقية كلها، والشيخ نعمة الله خليل التركي رَحِمَهُ اللَّهُ الذي بقي قرابة ربع قرن في اليابان منقطعاً للدعوة إلى الله هناك، وأمثالهم من الدعاة الذين تغربوا ونفع الله بهم، وقد كانت الغربة في ذلك الوقت معاناة، فلم تكن وسائل التواصل متاحة، ولا سهولة التنقل ميسَّرة، ومع ذلك احتملوها، واحتسبوها وبقيت آثارهم واستمرّت ثمراتُهم.

(1)«صحيح البخاري» (220)..

امتداد أثر الداعية

ذهب مصعب بن عمير ببضاعة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فحوَّل هذه المدينة إلى بيئةٍ تتنفس الإسلام.

هاجر مصعب بن عمير في السَّنة الحادية عشرة من البعثة، ولم تُفرض كثير من شرائع الإسلام، لكنَّه نقل إليهم الإيمان ونقل معه الشُّعور بالمسؤولية عن هذا الدِّين. ولِذا فإنَّ الأنصار الذين أسلموا على يد مصعب بن عمير ساءهم أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مضيَّقٌ عليه في مكة وهم آمنون في المدينة، فاتفقوا على أن يعرضوا على الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الهجرة إليهم، وليشترط لربه ولنفسه ماشاء.

إنّي أتعجب كيف استطاع مصعب خلال سنةٍ واحدةٍ أن ينقل مشاعر الأنصار إلى تحمُّل المسؤولية عن الإسلام، فجاء مصعب بن عمير مع الأنصار وتمَّت البيعة، وهاجر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشهد مصعب بن عمير بدرًا، وشهد أحدًا وفيها استشهد. وأغمض عينيه ولم يشهد فتح مكة، ولم يشهد عام الوفود يوم كانت القبائل تفِد على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أنحاء الجزيرة معلنةً إسلامها، ولم يشهد حجة الوداع، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معه أكثر من مئة ألف حاجٍ. لم يشهد كل هذه الإنجازات، وإنّما غادر في أشد الساعات شِدّة، حتى إنهم لم يجدوا ما يكفن به إلا بردة، إذا غطَّوا رأسه بدت رجلاه، وإذا

غطوا رجليه بدا رأسه، لكن هل نظن أنَّ مصعب بن عمير كان غائبًا عن فتح مكة، أو غائبًا عن حجَّة الوداع؟.

إن كثيرا من الذين شاركوا في فتح مكة كانوا من ثمار دعوته المباشرة أو غير المباشرة، وكذلك أكثر الذين شهدوا حجّة الوداع كانوا ثمار دعوته أيضاً، وكلّ ما يعملونه مكتوب من عمله.

وقد بقيت حياة مصعب بن عمير في وجدان الصحابة بعد وفاته، فهذا عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قدِّم له طعام إفطاره وهو صائم، فلمَّا نظر إليه، قال: قتل مصعب بن عمير وهو خير مني، فلم نجد ما نكفنه به إلا بردة إذا غطينا رأسه، بدت رجلاه، وإن غطينا بها رجليه بدا رأسه. فغطينا رأسه، ووضعنا على رجليه من ورق الشَّجر، وإني أخشى أن تكون حسناتنا عجلت لنا، ثمَّ جعل يبكي، وترك طعامه.

إننا عندما نحضر إلى هذه البلاد النائية نحضر ونحن نتوقع أن يجري الله على أيدينا ثمارًا لا تشهدها عيوننا، ولكن يتواصل لنا أجرها وبرها، وإنّ الذين يسلمون على أيديكم ستُكتب حسناتهم في سجلّ حسناتكم، وهكذا أبناؤهم ومَن يهتدي على أيديهم، فنحن سنغادر، ولكن نحتسب أن يستمر لنا أجر من انتفع بدعوتنا.

جاء سائلٌ لأحد العلماء، وقال: أريد أن أحج عن النبي

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال له الشيخ: حج عن نفسك، وحجّتك عن نفسك يصل مثل أجرها إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنه هو الذي دلَّك عليها، فكل ما تعمله الآن من خير، يذهب للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مثل أجرك. وكذلك كل من علَّمَنا وكل مَن نُعلِّمه.

لا نقطف الثمرة قبل نضجها

إنّ علينا أن نعمل بروح مصعب بن عمير، روح من هاجر ليعمل، من غير أن يتعجل الثمرة، وتعجبني الكلمة النورانية التي قالها أحد دعاة الإسلام قال: «إن العامل لهذا الدين ينبغي ألا يتعجل شيئًا من أجره، ولو كان هذا الأجر أن يتحقق النصر على يديه». فليس من الصواب أن نهاجر للدعوة، ثمَّ نشترط على الله النتائج والإنجازات ونحدد توقيتها، ولكن ندعو إلى الإصلاح ما استطعنا ونجتهد في العمل دون تعجّل النتائج، وإنما يتولى النتائجَ ربُّنا الذي نعمل له، وقد بقي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مكة ثلاث عشرة سنة وكان الناس يدخلون في الإسلام أفراداً، ثم بعد الهجرة جاء نصر الله والفتح، ودخل الناس في دين الله أفواجاً، وهكذا نحن في هجرتنا نبذل جهدنا، وقد تقرّ أعيننا برؤية الثمرة وقد تدركها أجيال تأتي بعدنا، تتعاهد البذرة وتقطف الثمرة.

وإن الموفَّق يعمل أفضل ما يستطيعه في وقته، وبحسب الإمكانات المتاحة له، والإمكانات تبدأ وتتسع بالعمل، وليست العبرة بنقص البدايات ولكن بكمال النهايات.

وعلينا أن لا نقع في أسر عقدة الإتقان وانتظار الكمال، فهذه من أعظم العوائق في العمل، كما أنّ علينا أن لا نستغرق في التجارب التاريخية المبهرة، فقد وُصفت لنا حال اكتمالها،

ولو اطلعنا عليها حال بداياتها اليسيرة لوجدناها تشبه بداياتنا.

وعلينا أن لا نزهد في شيء يسير نستطيعه من أجل شيء كبير نتمنّاه.

وإذا أردنا أن يبارك الله عَزَّوَجَلَّ في عملنا فعلينا أن نعمل وفق الممكن والمُتاح، وأن نسخر كل ما نستطيع ممّا هو بين أيدينا، ولا ننتظر عونا يأتينا من أحد، فهناك أناس ذهبوا بإمكانات محدودة جدا جدا!، ولكن كان معها نوايا طيبة؛ فبارك الله في الجهود. أمّا مَن إذا ذهب انتظر النَّاس أن يمدوه ويرسلوا إليه، فإنّه يعيش في حالة انتظارٍ، ويوكَل إلى من اتكل عليهم.

وإذا بدأ بما يستطيع مهما كان محدودا فإنّ الله يبارك عمله ويزكيه، ثم يأتيه ما لم يطلبه.

ولنا أسوة بنبي الله يوسف عليه السلام، الذي تحرر من مشكلاته الخاصة مِنْ غربة وعبودية وظلم ثم سجن، ومع ذلك انهمك وهو سجين في همّه وقضيته الكبرى وهي التوحيد والدعوة إلى الله، ولو كان غيره لملأ آذان صاحبيه في السجن بقصته ومأساته، ولكنه يتحدث كما لو كان في غير السجن، وكأنه لم يقطع ذلك الطريق الموحش بظلم القريب والبعيد، فحوّل السجن إلى مدرسة وميدان دعوة، ووجّه الدعوة ببراعة واقتدار، فما هي الإمكانات لدى سجين

غريب؟!، ومع ذلك بذل جهده، وعمل بإمكانياته، واستغلّ الفرصة، وأحسَنَ العرض، وقدّم درساً لكلّ داعية أن يعمل بإمكاناته مهما قلّت، ويستغلّ الفرصة إذا سنحتْ، وستتحقّق النتائج بتوفيق الله وعونه.

وإنّ الإنجازات يدعو بعضها بعضاً، وأعظم محفّز للداعمين هو رؤية عملك وأثرك، فهذا أكبر دعاية ودعوة للمشاركة والتعاون.

ولو قُدّر أنه لم يأتك دعمٌ من أحد فحسبك أنّك بذلت المستطاع، وسرتَ في طريق الرّسل: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾ [هود: 88]. فتلقى الله وأنت تقول: ربّاه أما ما استطعت فقد بذلته، فتقبّله وباركه.

عالَميّة الدعوة

أعلن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دعوته في مكة وهي وادٍ في طرف جزيرة العرب، بعيد عن حواضر العالم، ومع ذلك أعلن من أول يوم أنها دعوة للعالمين، وأنها للناس كافة، ولذا جاء الخطاب القرآني ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾، فلم يقل: «يا أيها العرب». ولا «يا معشر قريش» وإنما ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾، وهذا الخطاب بحد ذاته دلالة من دلالات النبوة، لأن أي إنسان لا يمكن أن يتخيل أنه وهو في هذا المكان النّائي سيبلغ نداؤه وأثر دعوته إلى البشرية كلها ما لم يكن هذا النداء بوحي سماوي.

كما أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بداية خطوات دعوته الأولى استجاب له وأحاط به أناسٌ من أجناس وإثنيات متنوعة، ولم يكونوا كلهم من العرب، مع أنّ الدعوة لا تزال في بدايتها الأولى، فكان معه في مكة على الإسلام العربي: أبو بكر وعلي وخديجة وغيرُهم، والحبشي: بلال، وأم أيمن وغيرهم، والرومي: صهيب الرومي، والفارسي: سالم مولى أبي حذيفة، وهذا التنوع في الأجناس حول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بداية البعثة يُقدّم هوية دعوته، وأنها دعوة عالمية لكل شعوب الأرض، ولكل أمم الدنيا، ولذلك استقطب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المدينة أصحاباً له من أجناس شتى، وكان ممن صحب

النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قرابة (125) صحابي كلهم من غير العرب، من الأحباش والأقباط والروم والفرس، وكان هذا مما يبيّن عالميّة هذه الدعوة وأنّها رسالة الله للناس كافة.

ووجّه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خطابه إلى أمم الأرض، فأرسل الرسائل إلى هرقل ملك الروم، وإلى كسرى ملك الفرس، وإلى المقوقس عظيم القبط، وإلى النجاشي ملك الحبشة، وغيرهم، كل هذا لأن هذه الرسالة رحمة للعالم كله ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107].

وأنتم اليوم في غربتكم تحقّقون عالمية دعوة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في البلاد التي أنتم فيها، والأمم التي تدعونها، فهنيئاً لكم خيرة الله لكم، وتشريفكم بأعظم مهمّة وأشرف رسالة.

وإذا نظرنا إلى مسيرة الأمة الإسلامية نجد أن العمل للإسلام وخدمته وقوة الانتماء إليه لم تكن خاصة بشعب، ولو كان الشعب العربي، فالعرب مع أنهم حملوا الرسالة في بداية الدعوة لكن شعوبا أخرى شاركتهم وتحملت المسؤولية معهم وكانت جزءاً رئيسا في بناء الأمة الإسلامية.

فكان من الفرس علماء المسلمين الذين اعتنوا برواية سنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحفظها وروايتها، ومن البربر كان جيش المسلمين في مواجهة الغزوات الرومية، ومن الشركس كان قادة الأمة، بعد سقوط الخلافة العباسية، وسلاطينُهم الذين

يسمون المماليك هم زعامة الأمة وقيادتها في وقتهم، وهم كانوا من قبائل وشعوب آسيا الوسطى.

ثمّ جاء الأتراك بعد ذلك وأقاموا دولة الإسلام وكانت الخلافة باسمهم.

كما انتمت شعوب وأمم إلى الإسلام بحب ورغبة، لم يدخلوا بتأثير قوة عسكرية، ولا بتأثير طمع مادي، مثل أكثر شعوب إفريقيا، وجنوب شرق آسيا، فكل هؤلاء استهواهم هذا الإسلام، وقوي انتماؤهم إليه، وأصبح منهم دعاة وعلماء، وحملة رسالة.

ولذلك عندما تَنشُرُ رسالةَ رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أي صقع من الأرض وفي أي أمة نائية فلا تدري لعلها من الأمم المدَّخَرة للإسلام.

وعندما ذهبت إلى أمريكا الجنوبية ورأيت قابلية هذا الشعب للتدين وللإسلام بخاصة قلتُ: لعل هذه الأمة اللاتينية أمةٌ مدَّخَرةٌ للإسلام، وربما كانت هذه القارة ساحة الإسلام القادمة، ولا ندري في أي مكان تنبت شجرة الإسلام وتمتد جذورها وتتفرع أغصانها.

الثمرة أكبر من البذرة

إن العمل الفردي لا يستهان به ولا بتأثيره، فربما كان جهد داعية فردٍ يباركه الله ويحقق الله على يديه فتوحا عظيمة، فمصعب بن عمير كان داعيةً فرداً ذهب إلى المدينة، فكان سببا في إسلام كثير من الأنصار.

وأبو ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أتى إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أول الدعوة والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مكة والمسلمون مستخفون، فلما أسلم أمره النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يغادر مكة، وقال له: إذا سمعت أني قد ظهرت فالحق بي. لأنه لو جلس في مكة صارت حمايته عبئا على المسلمين، فذهب أبو ذر إلى قبيلته، لكنه لم يكن في حال انتظار، ولكن كان في حال دعوة، حتى أسلم نصف قبيلته غفار، والنصف الآخر قالوا: أليس وعدك أنه سيظهر؟ فإذا ظهر أسلمنا معكم. فلما ظهر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أسلمت كل قبيلة غفار، فلما سمع بنو عمهم قبيلة «أسلم» بأنهم أسلموا قالوا: ليس بنا عما رغب فيه بنو عمنا غنى، ونحن أيضا سنسلم. فأسلمت قبيلة غفار كلها وقبيلة أسلم كلها ببركة داعية واحد هو أبو ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «غِفَارُ غَفَرَ اللهُ لَهَا وَأَسْلَمُ سَالَمَهَا اللهُ»[2].

ولِذا فلا تستهِن بجُهدك، ولا تستصغر دورك، فقد تكون داعيةً

(2) «صحيح البخاري» (1006)، «صحيح مسلم» (679).

في بلدٍ فيُنقذ الله بك أمّة هالكةً ويُحيي بك أرضاً مَواتاً.

وربما أسلم على يدك من سيعمل أكثر مما عملت، وينجز أفضل مما أنجزت، وسيكون عملُه هذا في صحيفتك، وعندما تدعو في مجتمع غير مسلم فربما أسلم أناس وكانوا أهل صدق في إسلامهم وعملهم، وعملوا شيئا لا تطيق أنت عمله الآن، وكل ذلك امتدادٌ لعملك.

ومن أمثلة ذلك أن الطفيل بن عمرو الدوسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أسلم في أول البعثة ثم لحق بقبيلته دوس ينشر الإسلام فيها، فانتشر الإسلام في قبيلة دوس، وكان ممن أسلم على يديه ثم هاجر إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والذي حفظ الله به سنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإذا نظرت إلى حديث أبي هريرة في مسند أحمد وجدته (3867) حديث، في حين لا تجد فيه من رواية الطفيل بن عمرو الدوسي حديثا واحداً، لكن كل مرويات أبي هريرة هي في صحيفة الطفيل بن عمرو الدوسي.

الداعية والتنمية العلمية

عندما أراد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إرسال داعية إلى اليمن وفيهم أهل كتاب وعلم أرسل عالماً من علماء الصحابة، وهو معاذ بن جبل، الذي قيل فيه: «أعلم الأمّة بالحلال والحرام معاذ بن جبل». لأنه الأليق بدعوتهم لتمكنه العلمي، وحال البشرية اليوم أكثر تطوّراً من حيث الثراء المعرفيّ وازدحام المعلومات، ولِذا فمن المهم أن يظل الإمام في حال تزود علمي، وأن لا تشغله كثرة الأعمال الاعتيادية والمشاغل اليومية عن تطوير نفسه والاستزادة من القراءة والتعلم، وقد قيل: «الجهل لا يحتاج إلى أكثر من ترك التعلم». وأي صاحب علم أو تخصّصٍ إذا ترك تطوير نفسه تقادم، وتجاوزه الوقت وأصبحت معلوماته قديمة جدا يكررها فيصبح مألوفا، ثمّ مملولا.

فينبغي على الإمام أن يكون عنده وجبة قراءة تطور معلوماته وتؤكدها، خصوصا في القرآن وتفسيره، وفي السنة، وفي السيرة، وفي كتب الدعوة ونحوها، مما ينمّي معلوماته، كما أن عليه أن يطور مهاراته، كمهارات التواصل، ومهارات الحوار، ومهارات الذكاء العاطفي، ونحو ذلك مما يسهل عليه أداء دوره بطريقة أكثر احترافية وتأثيرا.

كما أن على الإمام أن يتبصّر في نقاط القوة والضعف لديه، فإن القدرات تتفاوت بين المجالات كالتعليم والدعوة والمناظرة والإعلام، فيستثمر ما يحسنه ويطوّره، ويتجنّب ما لا يُحسنه ولا يلائمه، وقد علم كلّ أناسٍ مشربهم.

وعلى الداعية عندما يغترب أن يتعرف على البلد الذي سينتقل إليه: تاريخه، ثقافته، هوية أهله الحضارية، التنوع القبلي، الأعراف والعادات، وعدد المسلمين فيه، وظروفهم وحاجاتهم، والتعرف على القيادات المؤثرة في البلد، وما يتميز به البلد من ثروات وإمكانات، بحيث يسلك بدعوته مسلك العارف بهذا البلد الخبير به، الذي يحسن التعامل مع أهله، ويراعي خصوصيتهم في التعامل، فما يناسبُ في بلد لا يناسب في بلد آخر، ونوعُ الخطاب في بلد غيرُه في بلد آخر، وهكذا ...

المسلم والمسؤولية عن الإسلام

من المهم في دعوة غير المسلمين للإسلام إذا فتح الله عليهم فأسلموا أن يقذف في قلوبهم استشعار المسؤولية عن الدين، وتحميلهم مسؤولية الدعوة إليه، وأنَّ ما اهتديت إليه فإنّك تتحمل مسؤولية دعوة غيرك له، وأننا نتحمل مسؤولية استنقاذ البشرية، وهدايتها إلى طريق الله وصراطه المستقيم، وهذا الذي كان النبي ﷺ يقذفه في رُوع الصحابة بمجرد أن يسلموا.

فلا يُسلمُ أحد من الصحابة إلا شعر أن من ضمن مسؤوليته الدعوة إلى الله، وبلاغ رسالة الإسلام، ومن ذلك حديث ضمام بن ثعلبة الذي أتى إلى النبي ﷺ وسأله عن الإسلام فقال له: آللَّه أرسلك إلينا رسولا؟ قال ﷺ: اللهم نعم.

قال: آللَّه أمرك أن تأمرنا أن نصلي خمس صلوات؟. قال: اللَّهم نعم.

قال: آللَّه أمرك أن تأمرنا أن نخرج الزكاة من أغنيائنا فندفعها إلى فقرائنا؟. قال ﷺ: «اللَّهم نعم».

قال: آللَّه أمرك أن تأمرنا أن نصوم في السنة شهرا؟ قال ﷺ: «اللَّهم نعم».

قال: آللّه أمرك أن تأمرنا أن نحج هذا البيت في العمر مرة؟. قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللّهم نعم».

قال فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، وهذه الخمس والله لا أزيد عليها ولا أنقص.

فهو التزم أنه لا يزيد على هذه الخمس، لكن هل فهم أن الدعوة إلى الله من ضمن الزيادة التي استعفى عنها أم إنها من ضمن المسؤولية التي التزم بها؟.

عندما ننظر إليه نرى أنه رجع إلى قبيلته وبيّن لهم خطأ عبادة الأوثان، وأنّه إنّما يُعبد الله وحده وأنّه قد جاءهم من عند رسول الله حقّاً فأسلموا كلهم جميعا، حتى قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ما رأينا وافدا كان أيمن من ضمام، أسلم وأسلم قومه كلهم معه». لأنه بمجرد لقاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقبوله للإسلام شعر بمسؤوليته عنه، وهذا ما ينبغي أن يشعر به كل مسلم جديد.

أخذ الدين باعتزاز وقوة

حينما نعرّف بالإسلام فإن علينا أن نعرضه بيقين وثقة، وأن لا ندعو الناس وكأننا نتسول للإسلام أتباعا، فإذا أسلم أحدهم شعر أنه أصبح من مسؤولية المسلمين، وأن على المسلمين أن يعتنوا به، ويتحملوا مسؤوليته، وهذا خطأ في طريقةِ الدعوة، بل علينا أن نُشعِره أنك حين أسلمت قد كسبت مكسباً عظيما بالإسلام، وتحملت مسؤولية عظمى بين يدي الله في بلاغ هذا الدين الذي هداك الله إليه، وانتماؤك للإسلام هو غنيمة لك، وليس غنيمة للإسلام ﴿بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ [الحجرات: 17]. وأن تغرس في نفسه معاني الاعتزاز بالإسلام، وأن يزداد بإسلامه قوّة وعزّة، وثقة وعزيمة و«المُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى الله مِنَ المُؤْمِنِ الضَّعِيفِ»[3].

وعندما يسلم أحد أمامنا فينبغي أن يشعر بالقوّة والثّقة بما آمن به، وأن يشعر بالاستقلالية وأنه ليس تابعاً لنا، وإنما هو أخٌ مثلنا. وأن لا نبالغ في الاحتواء والحماية بما يُشعره بضعفه والخوف عليه.

لقد ذهب سعد بن معاذ في أول سنة من الهجرة إلى مكة معتمراً وعمره في الإسلام سنتين، ولقي في مكة صناديد الكفر: أبو جهل وأمية بن خلف والنضر بن الحارث وغيرهم،

(3) «صحيح مسلم» (2664).

ولم يبلغنا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حذّره عندما ذهب، أو سأله عندما عاد.

ومثله ثمامة بن أثال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي أسلم ثم ذهب من فوره إلى مكة وفيها المشركون، ليواجههم بإسلامه ويعلنه بين ظهرانيهم.

لقد كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُشعر كلّ من أسلم بقوة الحق الذي معه، وضعف الباطل الذي سيواجهه، فينطلق كلٌّ منهم وهو مصفَّح إيمانيّاً.

قوة التأثير وسرعة الانتشار

أتذكر كلما زرت بلداً فيه أقلية مسلمة حديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عندما قال لأصحابه أول ما قدم المدينة: «أَحْصُوا لِي كَمْ يلفظُ بِالإِسْلَامِ؟»، فقالوا: يا رسول الله، أتخشى علينا القلة ونحن ما بين الستمئة إلى السبعمئة؟[4].

يعني أن تعداد المسلمين في المدينة في أول سنة بعد الهجرة ما بين ستمئة وسبعمئة، ثمّ بعد عشر سنين حج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حجة الوداع وقد أسلم أهل الجزيرة العربية كلهم، وحضر منهم إلى موسم الحج أكثر من مئة ألف، فهؤلاء كلهم كيف أسلموا؟ إنّهم أسلموا بدعوة السبعمئة، إذًا هؤلاء السبعمئة كانوا طاقة فاعلة، أسلم بسببهم سكان الجزيرة العربية كلها، ثمّ تحملوا مسؤولية هذا الدين بعد وفاة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فانتشروا في أصقاع الأرض، فإذا هؤلاء السبعمئة الذين كان مسجد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يجمعهم كلّهم في المدينة تتناثر قبورهم بين قارات العالم القديم: آسيا وإفريقيا وأوروبا، وكلّ ذلك حملاً لرسالة الإسلام، وبلاغاً لدعوة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولذلك ينبغي أن نقول للمسلمين في كل مدينة: كم عددكم؟ إنّ الصحابة كانوا في المدينة أول الاسلام أقل منكم، وأسلمت

(4) «صحيح مسلم» (149).

الجزيرة العربية كلها بإسلامهم، فهل سيعرف أهل مدينتكم أو أهل دولتكم الإسلام من خلالكم، وهل ستكونون سبباً في هدايتهم واستنقاذهم؟

احتساب الاغتراب

ينبغي أن تحتسب في اغترابك أنك من هذه الزمرة المغتربة في ذات الله عَزَّوَجَلَّ، وإذا كنا تحدثنا عن مصعب بن عمير الذي لحق به المسلمون بعد سنة واحدة فإن هناك مهاجرا آخر بقي في الغربة قرابة خمس عشرة سنة وهو جعفر بن أبي طالب ومن معه سافروا إلى الحبشة في السنة الخامسة من البعثة، وعادوا إلى النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في السنة السابعة من الهجرة، فما بين هجرتهم ورجوعهم قرابة خمس عشرة سنة قضوها مغتربين في الحبشة، وكان المتوقَّع أن يرجعوا حين هاجر النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إلى المدينة، لكن جعفراً بقي، وبقاؤه في الحبشة ليس له تفسير إلا أنه بقي هو وأصحابه في دعوة الأحباش، ولذلك عندما أتى من الحبشة جاء معه وفد من مسلمي الحبشة نحوٌ من ثلاثين مهاجراً، وهؤلاء هم الذين رغبوا في الهجرة، وهناك غيرهم أسلموا، وبقوا في الحبشة، فكان جعفر مهاجرا، وسفيرا للإسلام في الحبشة.

لقد كان المسلمون المهاجرون في الحبشة يستشعرون فضل هجرتهم، ويحتملون ألم غربتهم، لعظيم الدور الذي يقومون به، فقد كانوا دعاة، وكان من ثمرة دعوتهم إسلامُ النجاشي ملك الحبشة، وإسلام الأحباش هناك، والذي نتج عنه انتشار الاسلام في شرق القارة الإفريقية، وقد كانت البذرة الأولى

لذلك هي دعوة هؤلاء المهاجرين المغتربين في ذات الله وذات رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فأنت في غربتك تحتسب ما يحتسبه هؤلاء السفراء، مثل ما كان مصعب بن عمير وجعفر بن أبي طالب وأبو ذر الغفاري وغيرهم.

أنّ علينا أن نعتبر بهجرة الصحابة رضوان الله عليهم إلى المدينة ثم هجرتهم من المدينة، لقد هاجروا الى المدينة من مكة ـ وهي بلدهم وأحب البلاد إليهم ـ إلى المدينة، ثم هاجروا من المدينة وفيها ذكرياتهم الجميلة مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويعلمون فضلها وفضائلها وفضل الموت فيها، وفضل الصلاة في مسجدها، ومثوى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين ظهرانيهم، ومع ذلك هاجروا إلى الشام والعراق وخراسان وإفريقيا وبقوا حيث هاجروا، وماتوا هناك، ولم يكن لهم هدف من هذه الهجرة وهذا الاستيطان إلى أن ماتوا إلا بلاغ هذا الدين، ولذلك كانوا أوتادا للإسلام في كل بلد انتقلوا إليه.

وللغربة معاناتها

إنّ الداعية في غربته يعرض له ما يعرض للمغترب من أنواع المعاناة، ولواعج الحنين إلى البلد ونحو ذلك، ولكن ينبغي أن يغالب ذلك بالاحتساب، واستشعار أن ما هو فيه هو هجرة وجهاد في سبيل الله، وأن ما يبذله من معاناة مدَّخَر له عند الله عَزَّوَجَلَّ، ومن الدروس البليغة في ذلك حديث أسماء بنت عميس رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا عندما رجعت من الحبشة في السنة السابعة من الهجرة بعد غربة خمس عشرة سنة، وللغربة في ذلك الوقت معاناتها المضاعفة، فليس ثمة اتصال ولا انتقال، وإنما كانت الغيبة غيبة كاملة، وانقطاعاً تامّاً عن البلد والأقارب والأصحاب، والعيش في بيئة غريبة عنه، ومع ذلك كان سلوتهم أنهم بقوا في هذه الغربة في ذات الله ورسوله، ولذلك لما رجعت وقال لها عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «سبقناكم بالهجرة والجهاد مع رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ». قالت: كلا والله، بل كنتم مع رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يطعم جائعكم، ويعلم جاهلكم، وكنا في دار البُغَضَاء البُعَداء، وما ذاك إلا في ذات الله ورسوله، والله لا أذوق ذواقا ولا أشرب شرابا حتى أذهبَ إلى رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فأخبره بما قلت، ثم ذهبت من فورها إلى النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فقالت: يا رسول الله، أرأيت ما يقول ابن الخطاب؟.

قال لها: «وَمَاذَا قَال؟».

قالت: يقول سبقناكم بالهجرة وسبقناكم بالجهاد ومع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فقال لها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَمَاذَا قُلتَ أنتَ؟».

لاحِظْ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يُجِبها، وإنما سألها عمّا قالت هي، لعلمه أنها كانت تعي دورها ورسالتها.

فقالت: قلت لا واللهِ، بل كنتم مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يطعم جائعكم، ويعلم جاهلكم، وقد كنا في دار البُغَضَاء البُعَداء وما ذاك إلا في ذات الله ورسوله.

فقال لها الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيْسَ بِأَحَقَّ بِي مِنْكُمْ، وَلَهُ وَلِأَصْحَابِهِ هِجْرَةٌ وَاحِدَةٌ، وَلَكُمْ أَنْتُمْ ـ أَهْلَ السَّفِينَةِ ـ هِجْرَتَانِ»[5]. ولاحظ أن هؤلاء الذين أتوا قد فاتتهم غزوة بدر وغزوة أحد وغزوة الخندق وبيعة الرضوان، ومع ذلك كان حالهم خيرا ممن شهدها، لأن غيابهم عنها كان في ذات الله ورسوله.

فانظر إلى هذا الوعي عند أسماء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وعيها بدورها، وأن معاناتها وغربتها كانت عملاً رساليّاً تحتسبه عند الله عَزَّوَجَلَّ، تفتخر به إذا افتخر غيرها بجهاده وهجرته.

إننا نرى مهاجرين في طلب الرزق، ومهاجرين في طلب

(5) «صحيح البخاري» (4230)، «صحيح مسلم» (2503).

الأمـان، ومهاجريـن للدراسـة أو العمـل، ومـع ذلـك يحتملـون ألـم الاغتـراب ويقاومونـه بنشـوة الإنجـاز وتحقيـق الأهـداف.

فكيـف بمـن يهاجـر لرسـالة سـامية وأهـداف عظيمـة، يعامـل فيهـا ربـه عَزَّوَجَلَّ، وينتظـر أثـراً يتتابـع لـه فـي حياتـه وبعـد مماتـه، ويـرث بعملـه مهمـة أنبيـاء الله ورسـله فـي بـلاغ رسـالات الله إلـى العالميـن، ويعلـم أن كل مـا يعملـه وينويـه فقـد وقـع أجـره علـى الله، أدركـه أو لـم يدركـه، ﴿وَمَـنْ يَخْـرُجْ مِـنْ بَيْتِـهِ مُهَاجِـرًا إِلَـى اللهِ وَرَسُـولِهِ ثُـمَّ يُدْرِكْـهُ الْمَـوْتُ فَقَـدْ وَقَعَ أَجْـرُهُ عَلَـى اللهِ وَكَانَ اللهُ غَفُـورًا رَحِيمًـا﴾.

للاستجابة مراحلها

ينبغي أن لا يثبّطنا عن عرض الإسلام ما يظهر على البعض من بوادر الإعراض والصدود، فعرض الدعوة عبادة، وربّما كانت الكلمة التي تلقيها بذرة تأخذ وقتها في النّموّ والتجذّر لتنبت وتُثمر بعد أمد لا تدركه، وربّما كانت كلمتك حجر أساس ثم يأتي بعدك مَن يبني عليه، ويدلّ على ذلك حديث جبير بن مطعم: وكان قدم المدينة قبل أن يسلم، فدخل المسجد والنبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يصلّي صلاة المغرب، فسمعه يقرأ سورة الطور قال: «فلمّا سمعته يقرأ: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (35) أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ (36) أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ﴾. كاد قلبي أن يطير»[6]. وكان ذلك في السنة الثانية للهجرة، ولم يُسلم جبير إلّا بعد ستّ سنين حين فُتحت مكّة، ولكن بداية تأثّره كان بسماع هذه الآيات، وهكذا دعوتنا قد تكون هي المؤثر الناقل إلى الإسلام، وقد تكون بداية التأثير والتّأثّر، ثم تنضج الثمرة، أو يأتي مَن يُتِمّ المهمّة.

إنّ كلّ مَن تدعوه هو مشروع استنقاذ، فإن تحقّقت هدايته فهو نجاح لك وله، وإنْ أعرض فقد نجحت أنت، وبلغتْ دعوتُك محلّها، ووجب لك أجرها، وربّما كانت الهداية مدّخرة لكَ في وقت آخر، أو في قلبٍ آخر.

---

(6) ينظر: «صحيح البخاري» (4854)، و «سنن أبي داود» (811).

خير لك من حُمر النَّعَم

أن تستشعر أن الدعوة إلى الله وهداية الناس هي من أفضل الأعمال التي يُتقَرَّب بها إلى الله، ولا أدل على ذلك من أن النبي ﷺ في معركة خيبر وهو يحاصر حصون اليهود، وكانت خيبر سلة الغذاء لغرب الجزيرة العربية، ففي أوديتها غابات النخيل، وفي حصونها كنوز الذهب والفضة، وكان اليهود فيها يكيدون لرسول ﷺ وهم الذين جمعوا الأحزاب في غزوة الخندق، ولذلك ذهب النبي ﷺ إلى حصونهم ليقتلع فتنتهم، ولكن برغم سوابقهم العدائيّة وبرغم ثرواتهم الهائلة إلا أن سوابقهم الإجرامية لم تدفع النبي ﷺ للانتقام منهم، ولا خزائنهم وثرواتهم أطمعته بغزوهم، وإنما كان هناك مراد أعظم من هذا كله وهو هدايتهم، ولذلك دفع النبي ﷺ الراية إلى علي رضي الله عنه وقال: «انفذ على رِسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم». إذًا كانت الهداية أقوى من شهوة الانتقام وأقوى من شهوة الطمع، كانت الهداية هي الهدف الأكبر، وقال «لأن يهدي الله بك رجلا واحدا، خير لك من حُمْر النعم» أي خير لك من الثروات العظيمة، لأن الجمال الحُمْر عند العرب هي من أنفس الأموال، فكان هذا هو الإغراء في قبول الدعوة، ولذلك ربما يفتح الله على يديك فيُسلِم رجل واحد هو خير

لـك مـن حمـر النعـم، ثـم سيسـلم علـى يديـه إذا أحسـنت صحبتـه ودعوتـه مـن لا يعلمـه إلا الله، ولـك أجـرُ هـؤلاء كلّمـا تناسـلوا، ومـا تتابعـوا ومـا عملـوا، ومـا عُمِـل علـى أيديهـم، وفضـل الله غامـر، وعطـاؤه عظيـم، فكـم مـن داعيـة راقـد فـي قبـره وأعمـال مَـن دعاهـم وعلّمهـم تتابـع إليـه جيـلاً إثـر جيـلٍ، فضـلاً مـن الله ونعمـة، والله ذو الفضـل العظيـم.

الداعية المُقتحِم

يصف ربيعة بن عبَاد الدّيلي مشهدا وعَتْه ذاكرتُه عن رسول الله ﷺ في بداية البعثة، فيقول رأيت رسول الله ﷺ في الجاهلية في سوق ذي المجاز، يدخل على الناس في مجامعهم ويقول: أيّها الناس، قولوا: «لا إله الا الله» تفلحوا. والناس متقصفون عليه، وخلفه رجل أحول وضيء يقول: نحن قومه أعلم به، إنه كذاب.

فسألتُ: من هذا؟.

قالوا: هذا ابن عبد المطلب، وهذا عمه عبد العزى بن عبد المطلب أبو لهب[7].

هذا المشهد يبين لك أن النبي ﷺ في دعوته كان في حال اقتحام، فيشهد مجامع الناس وأسواقهم ونواديهم يعرض فيها دعوته، ولم ينتظر أن يأتي إليه الناس حيث هو، بل كان هو ﷺ يذهب إليهم في هذه المجامع والأسواق.

وعليك أن تتصور أن أسواق الجاهلية هي الأسواق التي يباع فيها الخمر والأصنام، وفيها المنافرة والتفاخر بالقبائل ودعاوى الجاهلية، كل هذه المحظورات لم تمنع النبي ﷺ أن يغشى هذه التجمعات ليعرض فيها دعوته، ويبلغ البشرية الخير الذي أرسل به.

(7) «مسند أحمد» (16023)، «سيرة ابن هشام» (1/423).

ولذلك ينبغي أن يكون الداعية صاحب مبادرات في الحضور في التجمعات، والنوادي، والتواصل مع الهيئات الحكومية، والهيئات الاجتماعية، ومنظمات المجتمع المدني، إضافة إلى غشيان الناس في تجمعاتهم العامة، مثل الأسواق والحدائق وغيرها من الأماكن المأهولة بالاجتماعات، بحيث يكون صاحب اقتحام اجتماعي، لعرض الدعوة وتبليغها للناس، ومَن لا تجده في هذا التجمع تجده في تجمع آخر، ومَنْ لا يحضر في هذا اللقاء تجده في لقاء آخر، وبهذا تُشِعّ الدعوةُ وتدخلُ في كلِّ اتجاهات المجتمع ومناحي حياته.

ومن ذلك الاندماج مع أطياف المجتمع وطبقاته، وقد كان نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يسع كل الناس بحسن خلقه، فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن خياطا دعا النبي إلى طعام، فقدّم إليه قديداً ومرق دبّاء، ثم جعل يشتغل بعمله، وأقبل على عمله، قال أنس: فجعل رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأكل من ذلك الدُّبَّاء ويعجبه، ورأيته يتتبَّع الدُّبَّاء من حول الصَحْفَة، فلم أزل أحبُّ الدُّبَّاءَ من يومئذ[8].

إن الخياط من الطبقات الاجتماعية الكادحة، ومع ذلك وجد في نفسه الجرأة أن يدعو النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى بيته، واستجاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بخلقه العظيم لهذه الدعوة، وشارك هذا العامل المُكافِح طعامه القليل، ولك أن تتخيل شعور هذا الخياط قبل هذه الدعوة وهو يستعدّ لها ويخبر أهله أن النبي

(8) «صحيح البخاري» (2092، 5420، 5435)، و «صحيح مسلم» (2041).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سيزوره ويتناول طعامه، وأن تتخيّل حديثه بعد ذلك في بقية عمره عن زيارة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له، وأكله من طعامه، وما أثر ذلك عليه، وأثره على مَن يسمعه منه.

ولمّا قدم عدي بن حاتم الطائي وهو أمير شمال الجزيرة العربية على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دعاه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى بيته، وبينما هما في الطريق إذ عرضتْ للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ امرأة عجوز، فنادت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقالت: إنّ لي إليك حاجة. قال عديّ: فوقف رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لها حتى أشفقت عليه من طول القيام، وقلت في نفسي: والله ما هذا بملك، ووقع حبه في قلبي[9].

وهكذا كانت مساحة القلب النبوي الكبير تستوعب جميع طبقات المجتمع وأطيافه، وما كان أحد يشعر بالتهميش والدّونية في حضرته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(9) ينظر: «الأحاديث الطوال» للطبراني (1).

الدعوة ووسائل التواصل

من المهم استغلال وسائل التواصل المتجددة، والاستفادة من كل ما يجدّ منها، فعالم السوشيال ميديا أصبح عالما فاعلا منافِساً لوسائل الإعلام التقليدية التي تراجع تأثيرها كثيرا، ولذلك لا بُدَّ من اختيار الشباب والفتيان ذوي المهارات في مجال السوشيال ميديا وإقامة حملات من خلال وسائل التواصل، حتّى تصل الدعوة إلى كثيرين لا يمكن أن يصل اليهم التواصل المباشر.

وفي زيارتي للمكسيك التقيت بشاب متوقدٍ حماساً وحيويةً وقناعةً بالدين واكتشفت أن عمره في الاسلام لم يتجاوز عشرة أشهر، وعندما سألته عن قصة إسلامه اتضح أنه تعرف على الإسلام من خلال أحد المواقع الإلكترونية، ثمّ تواصل مع هذا الموقع، فعرف الإسلام، وقال لي: ولم يستغرق اتخاذي قرار الإسلام أكثر من أربع وعشرين ساعة، وكان شعلة من التوقد والنشاط، ولذلك فمن المهم أن توجد على هذه المواقع المتنوعة كلمات قصيرة تعرّف بالإسلام، وبالمسجد في المدينة، وبالمركز الإسلامي ونشاطه وبرامجه.

ومن المهم توثيق قصص المسلمين الجدد، والذين أحدث تحولهم إلى الاسلام نقلة في حياتهم، وأصبحوا من ذوي الاستقرار والثبات، فإذا تكلم عن الإسلام والدخول فيه ابنُ

البلـد كان ذلـك أكثـر جاذبيـة وتأثيـرا.

وكذلـك مـن كان مـن الدعاة لهـم تجربة طويلـة وثرية يحسـن بهم كتابـة تجاربهـم وتوثيقهـا، حتـى يسـتفيد منهـا مـن يأتـي بعدهـم، ولتكـون وثيقـة دعويـة وتاريخيـة للإسـلام فـي هـذا البلد.

المحايدون هم المساحة الأوسع

علينا أن نتذكر هذا المشهد الذي خلده الله في كتابه، وأبقاه عبرة للبشرية وللدعاة بالدرجة الأولى، وهو قصة الأعمى التي أنزل الله فيها آيات تُتلى، عندما جاء النبيَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الأعمى عبد الله ابن أم مكتوم إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يسأله، فانشغل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنه بدعوة كبراء قريش، طمعاً أن يُسلموا، فيُسلِم أتباعهم بإسلامهم، فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ عتابا إلهيّاً إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفيه: ﴿أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى (٥) فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى (٦) وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى (٧) وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى (٨) وَهُوَ يَخْشَى (٩) فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى (١٠) كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ (١١) فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ (١٢)﴾ [عبس: 5-12]. هذا العتاب الإلهي لنبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يبصرنا بحقيقة أن الانشغال بالمُقبل أَولى من الاشتغال بالمُعرض، والانشغال بمن ليس عنده عداوة سابقة وعناد مُسبَق، أَولى من الانشغال بالمعاند المكابر.

ونحن إذا نظرنا الآن إلى البشرية بعمومها فسنجد نحواً من 90 % من غير المسلمين ليس عندهم موقف عدائي مسبق للإسلام، وليس عندهم معلومة إيجابية ولا سلبية عن الإسلام، فهم فئة محايدة، ولعله يوجد 10 % من الذين اتخذوا موقفَ عنادٍ عدائيٍّ للإسلام، واتخذوا موقع المُحادّة له، ولذلك ينبغي أن يكون انشغالنا بالفئة الأولى، لأنها هي الأكثر، وهي الأقرب

للقبول، وهي الأَولى أن يبلغها الدين بصورته الصحيحة قبل أن يصل إليها بطريقة مشوهة.

وأكثر النصارى المنسوبين للنصرانية الآن لم يقرؤوا كتابهم المقدس، ولم يفهموا إلى الآن إشكالية التثليث الذي هو معضلة منطقية، ولذلك فإن موقفهم من الدين ليس موقفا محسوما بالعداء، وإلى هذه الفئة ونحوها ينبغي أن يتوجه الجهد، بدلاً من أن نضيع جهودنا في جدال المخاصمين الخصِمين .

وقلما ينتهي الجدال والمناظرات بالتسليم، لأن كل مَن تدخل معه في جدال أو مناظرة يتخذ موقف التحصّن والمُدافعة، ولِذا أُمِرنا بالمجادلة بالتي هي أحسن، فينبغي أن يكون عرض الدعوة هو التعريف بالدين، بحيث نُشعِر مَن ندعوه أننا إنما نعرّفه بهذا الدين، ونوضّحه له، أما اتّباعه فهذا خِياره، وهداية الله له.

الدعوة انفعال وتفاعل

يجلّيها لنا مشهد انفعال النبي ﷺ في خطبته، فقد وُصف ﷺ بأنه كان إذا خطب علا صوتُه، واحمرتْ عيناه، كأنه منذر جيش يقول: صبّحكم ومسّاكم.

وهذا الانفعال سببه قوة تشبّع النبي ﷺ بما يدعو إليه، فكان ﷺ يقدم دعوته ممزوجة بعاطفته، وهي عاطفة الشفقة على البشرية، عاطفة المستنقِذِ لها مِنَ الهلاك، فيفرح للناس إذا رأى هدايتهم، ويحزن ويأسف إذا رأى الناس يقتحمون ويتخبطون في ظلمات الضلال وهو يدعوهم إلى صراط الله المستقيم، حتى إن ربه الذي أرسله عاتبه على شدة أسفه فقال: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف: 6]. هل ستُهلك نفسَك أسفاً عليهم إذا لم يؤمنوا؟.

إن عاطفة الحرص على هداية الناس، والحرص على استنقاذ البشرية، ينبغي أن تظهر هذه العاطفة لهذا المدعو، فيشعر أن باعثك للدعوة محبته والشفقة عليه، وأنك تَشعُر بالأخوّة الإنسانية بينك وبينه، ولذلك تريد له الهداية، تريد له أن يمشي على الصراط المستقيم، وأن يسلك الطريق الصحيح الذي يوصله إلى الله، وأن يشعر بلهفة المُستنقِذ وليس بسطوة الآمِر، يشعر أن دافعك إلى دعوته حب وشفقة، وليس

استتباعاً، فإذا فتح الله على أحدهم على يديك فأسلم فينبغي أن يشعر بفرحك، وأن يُشعره المسلمون معك بفرحهم به، وبأنه صار واحدا من أسرة المسلمين، وأن أهل الإسلام عائلة كبيرة، وصار الآن واحدا منهم، وينبغي أن يشعر بالحرص عليه والتواصل معه، حتى توجد عنده أيضا هذه العاطفة المتجاوبة مع عاطفتك له.

ومثلما كان ﷺ يحزن ويأسف لإعراض المعرضين كان يفرح ويبتهج لهداية المهتدين، فقد زار ﷺ فتى يهوديّاً مريضا كان يخدمه فوجده على مشارف الموت، فعرض عليه الإسلام، فأسلم الفتى، ثم مات، فخرج النبي ﷺ فرحاً يقول: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى أَنْقَذَهُ بِي مِنَ النَّارِ»[10].

إن هذا الفتى أسلم ثم مات، فلن يستفيد منه النبي ﷺ بشيء، ولن يستفيد منه المسلمون شيئاً، لكن النبي ﷺ فرح بهدايته، واستنقاذه من مصير الضلالة.

إنّ الدعوة ربح وغنيمة كلها، وأعظم غنائمها أن يهدي الله بك رجلاً واحداً، حتى وإن كنت تظنّ أنه لن يفيد غيره، فإنقاذه بحد ذاته نجاة له ومكسب لك، وهو إنجاز يحقّ لك أن تفرح به، وتبتهج وتحمد الله على فضله عليك حيث أجرى هدايته على يديك.

---

(10) «صحيح البخاري» (1356)، و«سنن أبي داود» (3095).

البدء من نقطة الاتفاق

إن غير المسلمين أنواع، ولكلِّ نوع ما يناسبه في دعوته، فلا يصح أن أدعو الملحد كما أدعو النصراني المؤمن بنصرانيته، فالنصراني المؤمن قد قطع جزءاً من الطريق، أما المسافة بينك وبين الملحد فبعيدة، وليس الكلام معه في قضية الإسلام، بل في قضية وجود الله عَزَّوَجَلَّ، فله نوع من الخطاب ينبغي أن يكون له مَنْ يتخصص فيه، وغير المتخصص فيه ينبغي أن لا ينشغل به، لأنه قد ينقلك إلى متاهة جدليّة أنت غير مستعدٍّ لها، فاجعل حوارك مع مَنْ بينك وبينه أرضية مشتركة، وهي الإيمان بالله والإيمان بالرسل والرسالات، ثم تتدرج معه، كما أخبر النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ معاذ بن جبل: «إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ تَعَالَى»(11). فإذا كان يؤمن بوجود الله فابدأ معه بقضية توحيد الله عَزَّوَجَلَّ، ثم انتقل بعد ذلك إلى ما يليها.

والبداءة من نقطة الاتفاق هي الهدي القرآني، يقول الله عَزَّوَجَلَّ آمراً نبيه أن يخاطب المشركين بهذا المنطق قائلا: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللهُ﴾ [سبأ: 24]. لأن المسلمين والمشركين متفقون على أن الرزاق هو الله، والمشركون لا يخالفون في أن الرزق من الله، وإنّما يخالفون

(11) «صحيح البخاري» (7372)، «صحيح مسلم» (19).

في شيء آخر، وهو أن العبادة ليست لله وحده بل لله شركاء يُعبدون معه؟، فبدأت الآية بالمتفق عليه: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللهُ﴾ [سبأ: 24]. فهذا متفق عليه، بقي عندنا ما نختلف فيه، وهو هل الرّبّ الذي يرزق من السماوات والارض هو المستحق للعبادة وحده؟ أم ثمة شركاء يُعبدون مع أنهم لا يَرْزقون؟ تعالوا نتحاور إذاً: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [سبأ: 24].

وهذا الهدي القرآني هو الهدي النبوي في الدعوة، فهذا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول لحصين بن عبيد والد عمران بن حصين: «يَا حُصَيْنُ، كَمْ إِلَهًا تَعْبُدُ الْيَوْمَ؟».

قَالَ: سَبْعَةً فِي الْأَرْضِ، وَإِلَهًا فِي السَّمَاءِ.

قَالَ: «فَإِذَا أَصَابَكَ الضُّرُّ مَنْ تَدْعُو؟».

قَالَ: الَّذِي فِي السَّمَاءِ.

قَالَ: «فَإِذَا هَلَكَ الْمَالُ مَنْ تَدْعُو؟».

قَالَ: الَّذِي فِي السَّمَاءِ.

قَالَ: «فَيَسْتَجِيبُ لَكَ وَحْدَهُ، وَتُشْرِكُهُمْ مَعَهُ؟!»[12].

وهذا تحريك للعقل، ومحاورة من غير مصادمة، فإذا كان

(12)«التوحيد» لابن خزيمة (1/ 277)، وأصل الحديث في «سنن الترمذي» (3483).

الـذي فـي السـماء هو الـذي تدعـوه إذا مسّـك الضّـرّ فيكشـفه وإذا هلـك المـال فيُخلفـه، فكيـف تتوجّـه بالعبـادة إلـى غيـره؟!.

البدء بالأسس والمُهِمّات

لما أرسل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معاذاً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى اليمن قال له: «إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ تَعَالَى، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، فَإِذَا صَلَّوْا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً فِي أَمْوَالِهِمْ، تُؤْخَذُ مِنْ غَنِيِّهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فَقِيرِهِمْ، فَإِذَا أَقَرُّوا بِذَلِكَ فَخُذْ مِنْهُمْ، وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ»[13].

وهذا الحديث يقدم منهجية في الدعوة، بحيث تكون البداءة مع المدعو بالأسس الرئيسة، وأهمها عبادة الله عَزَّوَجَلَّ وحده، وتعظيمه، وإفراده بالقصد والتوجه، فإذا استجاب لذلك ينتقل إلى تطبيقات هذه العبودية وأهمها الصلاة، ولاحظ قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «فإن هم أجابوا لذلك» مما يبين مرحلية الدعوة، وأن الداعي ينتقل من تكليف إلى تكليف آخر عندما تتحقق الاستجابة والانقياد، ولذلك ينبغي أن تكون العناية بالمسلمين الجدد بما يعزز يقين الإيمان في نفوسهم، فيعلمون من الدين أسسه، وبرامجه العملية خصوصا برنامج اليوم الواحد: ما الذي يحتاجه من الدين في يومه؟، وقد قال مالك بن الحويرث: أتينا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ونحن شببة متقاربون،

(13) «صحيح البخاري» (7372)، «صحيح مسلم» (19).

فأقمنا عنده عشرين ليلة، فظن أنا اشتقنا أهلنا، وسألنا عمن تركنا في أهلنا، فأخبرناه، وكان رفيقا رحيما، فقال: «ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِيكُمْ، فَعَلِّمُوهُمْ وَمُرُوهُمْ، وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي، وَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلاَةُ، فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ، ثُمَّ لِيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ»[14]. ولك أن تتساءل ما الذي تعلمه هؤلاء الشباب وأمروا بتعليمه خلال إقامتهم عشرين يوما في المدينة، وهم حدثاء عهد بإسلام؟، إنّهم تعلموا أسس الدين، والبرنامج الحياتي للمسلم، من العبادة اليومية والأخلاق اليومية في التعامل، وهذا هو الذي ينبغي العناية به عند تعليم المسلم الجديد، دون تشتيته بمسائل يتعلمها بعد ذلك بطول الصُّحبة وتمكن الإيمان من نفسه.

أن علينا عند تلقي المسلم الجديد أن لا ندخله في تفريعات تثير عنده حيرة، أو تُحدِث له نفرة وإنما نركز معه على الأصول الإيمانية والقيم الأخلاقية، وإعطائه بوصلة الحراك الاجتماعي، وأنّه بهذا الإسلام لن يفقد علاقاته، ولنْ يدخل في مواجهة مع مجتمعه، ولنْ تنقلب حياته رأسا على عقب؟، بلْ إنّ هناك واجبات اجتماعية وعلاقات ينبغي أن يحافظ عليها ويعتني بها ويلتزم الخلق الحسن فيها.

وقد كتبت كتيبا بعنوان «إلى أخي وأختي»، وهو كتيب مختصر جدا، فيه أهم هذه القيم التي ينبغي أن يُلفَت إليها

(14) «صحيح البخاري» (6008)، «صحيح مسلم» (674).

نظر المسلم الجديد، في علاقته مع ربه، وفي علاقته مع الناس، وفي تعامله مع خطاياه السابقة، ومع هفواته الحياتية، وكيف يتعزز إيمانه وتتعمق القيم في نفسه[15] .

كما أنّ علينا الحذر من إشغاله ببعض الفرعيات التي تقبل التأجيل، والخيار فيها واسع، مثل مسألة الختان، فينبغي أن لا يُفاجَأ بها، بل يتعرف عليها بعد أن يرسخ في الدين، وكونه يموت مسلما غير مختون أولى من أن يُعرض عليه الختان فيتسبب في ردته، فالختان ليس من نواقض الإسلام، وإنما هو من خصال الفطرة.

وكذلك تغيير الاسم، وتغيير الزي، وإزالة الأوشام، كل هذه ينبغي أنها لا تكون محل فتنة للناس، والأصل أن كل إنسان يبقى على اسمه ما لم يكن هذا الاسم محرَّم المعنى، مثل: عبد المسيح ونحو ذلك.

ولذلك لم يغيّر الصحابة أسماءَهم عندما أسلموا إلا الأسماء المنكرة، ولم يغيروا زيهم، فالذي يلبسه النبي ﷺ هو الذي يلبسه أبو جهل، فليس من الصواب أن نُلبس كل مسلم الطاقية، فهذه ليست من شعائر الإسلام.

(15) يمكن الحصول على الكتاب من هنا:

والمهم أن نعتني بما في قلبه، وأما اللباس فيلبس لباس قومه ما لم يكن فيه شيء محرم، واللباس اليوم صار عالمياً متقارب الشكل والهيئة.

الحياة دعوة والدعوة حياة

عندما ننظر إلى آخر لحظات النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحياة، وهي لحظات شدة الموت وسكراته، نجدْ أن النبي ﷺ قد أنفق آخر أنفاس عمره وآخرَ لحظاتِ حياته وتجاوز كُرَب الموت وشدته ليُنفِذ دعوةً لأمته، فكان من آخر كلماته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن وجّه نداءاً إلى أمته: «الصَّلَاةَ، الصَّلَاةَ، وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ»[16]. فما زال يكررها حتى احتبستْ بها أنفاسه. فإذا كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يألُ أمته دعوة ونصحاً في هذه الكربة الشديدة فكيف به في سعة أوقاته وفسحة حياته؟!.

لقد كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعيش حال استنفار دعوي، فكانت حياتُه دعوة، ودعوتُه حياةً، لذلك تجده داعية في مجلسه، داعية على منبره، داعية في الطريق الذي يمشي فيه، داعية في السوق الذي يدخله، داعية على الطعام الذي يجلس إليه، يقول أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «جلسنا مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الطعام، فرفعت إليه الذِّراع، وكانت أحبَّ الشَّاة إليه، فنَهَسَ نَهْسَةً، فقال: «أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». قال: فسكتنا. ثم نَهَسَ أخرى، فقال: «أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». فلما رأى أصحابَه لا يسألونه قال: «أَلَا تَقُولُونَ كَيْفَهْ؟». قالوا: كَيْفَهْ يا رسولَ الله. قال: «يَجْمَعُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ

(16) «مسند أحمد» (26483، 26657)، و«سنن ابن ماجه» (1625).

وَاحِدٍ فَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي وَيَنْفُذُهُمُ الْبَصَرُ، ...»[17]. ثم ساق حديث الشفاعة الطويل وهو من أطول الأحاديث في صحيح البخاري، أين كان يحدّث بهذا الحديث؟ على مائدة الطعام، وبعد أن شرع في الأكل، والذي يظهر أن النبي ﷺ اختار أن يتحدث بهذا الحديث في هذا المجلس خاصةً لأن أناساً كانوا موجودين وقتها ينبغي أن يعوا هذا الحديث منه، وإلا فقد كان من الممكن أن يلقي هذا الحديث في خطبة جمعة أو غيرها، وانظر كيف عرَضَهُ بهذه الطريقة التشويقية: «ألا تقولون: كيف؟».

ويركب النبي ﷺ على حمار وخلفه معاذ، فلم يدع الطريق ينتهي دون تعليم ودعوة، فإذا به يقول لمعاذ: «يَا مُعَاذُ، هَلْ تَدْرِي حَقَّ اللهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَمَا حَقُّ العِبَادِ عَلَى اللهِ؟». قال: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّ حَقَّ اللهِ عَلَى العِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقَّ العِبَادِ عَلَى اللهِ أَنْ لاَ يُعَذِّبَ مَنْ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»[18]. لاحظ أنهم على الحمار في الطريق، ومع ذلك جعل مسافة الطريق فرصةً للتعليم والدعوة.

ولذلك يحرص الداعية أن لا تفلت منه فرصة دعوة إلا استغلها، فالجالس بجانبك في مقعد الطائرة، والذي تزوره في مكان عمله أو يزورك في مكان عملك أو تلتقي به في

(17) «صحيح البخاري» (3340)، و «صحيح مسلم» (194)، وغيرها.
(18) «صحيح البخاري» (2856)، و «صحيح مسلم» (30)، وغيرها.

مكان عامّ أو لقاءٍ خاصٍّ كلٌّ منهم فرصتك التي ينبغي أن تستغلها، ولا يلزم أن تفتح معه مشروع الدعوة من أوله إلى آخره، فالمهم أن تلقي إليه ببذرة، فتعطيه مطوية، أو تطرح عليه تساؤلا، وتقول له: هذا الموضوع يهمّني، وأعتقد أنه يُهِمّك. أو تدعوه إلى زيارة المسجد، أو تدعوه إلى حضور اجتماعاتكم الدعوية ونحو ذلك.

فتحاول أن تجعل كل من تلقاه جزءاً من مشروعك، وكل فرصة تسنح لقول خير أو دعوة إلى خير تستغلها فلا تفلت منك، وإن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي أنفق لنا آخر أنفاس عمره قد علمنا بذلك أن نجعل من أنفاسنا ولحظات حياتنا مضماراً لدعوتنا ورسالتنا.

لا تستتبع الماضي ولا تلفِت إلى الوراء

سألت عائشة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هل أتى عليك يوم أشد من يوم أحد؟ فأخبرها بما هو أشد عليه من يوم أحد وهو يوم رجوعه من الطائف إلى مكة، بعد أن لقي الصدود من أهل الطائف وتوقع الجراءة والشّماتة من أهل مكة، فكان كربه لذلك أشدّ الكرب، حتى كان أشدّ من ألمه يوم أحد، والشيء الذي يلفت النظر في هذا الحديث أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يذكر هذه القصة إلا بعد أن سألته عائشة، ولم نجد لهذه القصة ذكرا في حديث آخر، وربما لو لم تسأله عائشة عن ذلك لما علمنا بهذه الحادثة التي كانت شديدة الوقع على نفس النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا يدل على أن النبي ﷺ لم يكن يجترّ الذكريات، ولا يستتبع الماضي، وإنما كان منشغلا بالمستقبل وإنجازه، ولذلك لن تجد في حياة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المدينة أحاديث عن مكة وذكرياته فيها وأشواقه إليها، ولن تجد في حياة الصحابة معه في المدينة انشغالاً بالحديث عن حالهم في مكة، لقد كانت أبصارهم موجهة إلى مشروعهم المستقبلي، وليس باجترار الماضي، والتشوّق لما فات، بل إنّ المهاجرين من مكة إلى المدينة حُرِّم عليهم الرجوع إلى مكة بعد الفتح، فلم يرجع أحد من المهاجرين إلى مكة ليُقيمَ فيها، وذلك ليكون مشروعهم مستقبليّاً ماضياً إلى الأمام، لذلك انتشر الصحابة بعد وفاة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الآفاق،

ولـم يرجـع أحـد إلـى بلـده، وفـي هـذا درس بليـغ لـكل مهاجـر يدعـو إلـى الله أن ينظـر إلـى مشـروعه المسـتقبلي، ولا يتعثـر بذكريـات الماضـي والتشـوّق والحنيـن إلـى مـا تركـه.

فالمسـتقبل فـي مشـروعه الـذي انتـدب نفسـه إليـه، وأوقـف بقيـة عمـره عليـه، ومـا أسـرع مـا تُطـوى صحيفـة العمـر ليجـد حصيلـة مشـروعه مدّخـرةً أمامـه، أمّـا مـن انشـغل بالالتفـات إلـى الـوراء فإنـه لـن يقطـع طريقـه، بـل ستتشـتّت عزيمتـه، ويتعثّـر مسـيره:

ومشـتَّتُ العزَمـات يذهب عمره *** حيـرانَ لا ظفرٌ ولا إخفاقُ

تحريش الشيطان

بعد أن أنجز النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مشروعه الرسالي فأتم الله النعمة، وأكمل الدين، وبُلغت الرسالة وودع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الناس في حجة الوداع كان من أعظم ما حذر أمّتَه منه في خطبة الوداع تحريش الشيطان بينهم، فقال: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَئِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ المُصَلُّونَ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ»[19]. ومن أعظم مكائد الشيطان تحريشه بين الدعاة والعاملين إلى الله، واصطناع الخلافات بينهم، واذكاؤها وإلباسها لبوس الدين، وأشد العداوات ما نجح الشيطان في إيغارها بين المسلمين بلبوس الدين، ولذلك ينبغي أن يكون لدى العاملين في الدعوة احتياط كامل من نزغات الشياطين، التي يلقيها بين الدعاة بأنواع من الاختلافات التي تتحول إلى خلافات، ثم إلى عداوات، ومنها المنافسات والصراعات في ساحة العمل الدعوي وكأن الأخ يحاول أن يلغي عمل أخيه ويستأثر بالنجاح والإنجاز وحده، ومع أن الساحة واسعة تستوعب كل هذه الأعمال، ولا تحتمل هذا التزاحم والتنافس.

ومن أهم سبل الوقاية إغلاق الباب عن الخلافات الموجودة بين المسلمين في بلادهم فلا ترحل معهم حيث هاجروا، ومن أعظم الجناية على المسلمين الجدد أن تستورد إليهم الخلافات

(19) «جامع الترمذي» (1937).

الواقعة بين المسلمين في البلاد الإسلامية بين جماعاتهم وأحزابهم وطوائفهم، فليترك المسلمون على براءتهم الأصلية، بعيدا عن هذه النزاعات والخلافات، ولنقدّم لهم الإسلام وكأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد توفي هذه الساعة، ولا يزال الدين غضّاً كما أُنزل، والرسالة بيضاء نقية كما بلغها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولمّا أرسل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معاذا وابا موسى الى اليمن داعيَين وقاضيين، وأوصاهما فقال: «يَسِّرَا وَلاَ تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلاَ تُنَفِّرَا، وَتَطَاوَعَا وَلاَ تَخْتَلِفَا»[20]. وهذه الوصاة النبوية ينبغي أن تكون دستورا وبرنامج عمل لكل الدعاة المغتربين، فيحرصوا أن يكون خطابهم خطاب بشرى، تُتَألف به القلوب، وأن ييسروا، ولا يعسروا، ويراعوا طبيعة المجتمع الذي وصلوا إليه، وأن الأرفق به هو اليسر والتيسير، ولا يصح أن يؤخذ حدثاءُ العهد بالإسلام بالعزائم، وإنما يؤخذون بالتيسير ما أمكن.

والنقطة المهمة جدا هي قوله: «وَتَطَاوَعَا وَلاَ تَخْتَلِفَا». إن الاختلاف أمر متوقع في كل تجمع بشري، وكذلك وجود الاختلاف بين الدعاة في اجتهاداتهم، لكن المهم سياسة هذا الاختلاف بأن ينتهي إلى التطاوع وليس التنازع، وأنه لا بُدَّ أن يتنازل أحد الطرفين للآخر، وأن يتفق الدعاة على أمر مفضول خير لهم من أن يتشاحنوا على أمر فاضل في رأي بعضهم،

(20) «صحيح البخاري» (4341)، «صحيح مسلم» (1733).

والدعوة إلى الإسلام في منابته الأولى لا تحتمل مثل هذه الخلافات، والتي ربما تشتط حتى تكون سببا للصد عن دين الله، فليتذكر كل الدعاة هذه الوصاة النبوية ويحرصوا على حسن تطبيقها، وليعيدوا تذاكر «وَتَطَاوَعَا وَلاَ تَخْتَلِفَا».

وعلينا الحرص على الوحدة بين المسلمين وبخاصة العاملين في الدعوة، وعدم تعميق الخلافات المذهبية والحزبية والطائفية، وليكن الشعار: ﴿وَإِنَّ هَـٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [المؤمنون: 52]. وإنما يكون التعامل والتعاون في مساحة المتفق عليه والمشترك، وكلما فُعِّلَتْ مساحة المتفق عليه تقلّصت مساحة المختلف فيه.

وسيوجد في كثير من البلاد نوعيات من ذوي الطباع الصعبة الصراعية المولعون بإذكاء الخلاف، وحب المواجهة، فينبغي عدم التفاعل مع هذه الفئة أو الانشغال بها، وإنما يجتهد في تحييدها ما أمكن إذا لم يتيسر كسبها واحتواؤها.

زاد التزكية

إن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد تلقى في بداية دعوته هذا النداء الالهي ﴿يَاأَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (١) قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا (٢) نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا (٣) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا (٤) إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا (٥)﴾ [المزمل: 1-5]. لقد كانت التوجيه من الله لنبيه لتلقّي القول الثقيل ثم تحمّل مسؤوليةِ بلاغه هي الاستعدادُ لذلك بهذا الورد التعبدي وهو قيام الليل، ولِذا فإن من أعظم ما يستعين به الداعية في دعوته تزكيةُ النفس، بإدمان الذكر، والمحافظة على الأوراد، وحسن الصحبة للقرآن، وعبودية الصلاة، وبخاصة قيام الليل، وبقدر زكاء النفس وقوة الصلة بالله يزكو العطاء، ويبارَك العمل، ويتنزل المدد الالهي والعون والتوفيق من الله، وأهل المعاملة مع الله على كلماتهم نور، ولسلوكهم تأثير، ولشخصياتهم إشعاع، وبقدر تشبع الانسان بحسن الصلة بالله يعظم وقع كلماته وتأثيرها، وهذا مما ينبغي أن نتواصى به ونتعاهد أنفسنا بالمحافظة عليه ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ (٧) وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ (٨)﴾ [الشرح: 7-8]. فالدعوة معاملةٌ مع الله وتعبّدٌ له، وإنما يُستمدّ العون على حسن العبادة بأمداد الله وعونه، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمعاذٍ: «يَا مُعَاذُ، وَاللهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ فَلَا تَدَعْ أَنْ تَقُولَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ،

وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»[21].

إن العناية بالقلب تنسّكاً وتضرعاً، والعناية بالتزكية والسلوك؛ من أعظم ما ينقي القلب ويزكيه، ومما يعين على ذلك القراءة في كتب التزكية القلبية من مثل: «مختصر مدارج السالكين»، و«مختصر إحياء علوم الدين»، و«رسالة العبودية» لابن تيمية، وكتاب «العقيدة والسلوك» للندوي، ونحوها من كتب الرقائق، فان تعاهد القلب وتزكية النفس عصمة من نزغات الشيطان، وأدوائه الخفية التي يسلكها في القلوب في أوقات الغفلات، وإنّما تنشأ أوبئة العجب والتنافس والتشاحن في غفلات الانسان عن تعاهد قلبه، وقد قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي، حتّى أَسْتَغْفِرَ اللهَ فِي الْيَوْمِ مِئَةَ مَرَّةٍ»[22]. والغَين هو ما يغشى القلب كما يغشى الغيم السّماء، فكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتعاهد قلبه بكثرة الاستغفار ليظلّ قلبه على يقظته واستنارته، فإذا كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو الموصول القلب، وبالله أعلم الخلق بالله وأخشاهم له يتعاهد قلبه هذا التعاهد، فكيف ستكون حاجتنا إلى تزكية قلوبنا وتعاهدها عن غشاوة الغفلة، وتطهيرها من أمراض القلوب وأهواء النفوس. اللهَّم آتِ نفوسنا تقوها، وزكّها أنت خير مَن زكّاها.

(21) «سنن أبي داود» (1522)، و«سنن النسائي» (1303).
(22) «مسند أحمد» (17849)، «صحيح مسلم» (2702).

والخُلُق الحسن دعوة

أوصى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبا ذر بالوصايا الثلاث، وهي جماع التزكية فقال: «اتَّقِ الله حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»[23]. ولاحظ قولَه: «وَخَالِقِ النَّاسَ» فإن الخلق الحسن مبذول للناس كل الناس، قريبهم وبعيدهم، مسلمهم وكافرهم، فالناس كلهم لهم حظ من حسن خلق المسلم، وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو القدوة والمثال في حسن الخلق، فوصفه ربه العليم به بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: 4]، وقال أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحسن الناس خُلُقاً[24].

وحسن الخلق هو العبادة التي نتعبد لله عَزَّوَجَلَّ بها حين نُعامل الناسَ، فليس شيء أثقل في ميزان العبد من حسن الخلق، وهي اللغة التي لا تحتاج إلى ترجمان، والناس يدركون الفرق بين الأخلاق أكثر من إدراكهم للفرق بين الأفكار، فليس طريق أيسر وأفضل من طريق الأخلاق، والداعية يختصر بحسن أخلاقه طريقا طويلاً إلى قلوب مَن حوله وعقولهم أسرع مما يقطعه بأفكاره وحواراته، وكم كُسِبتْ قلوب أناس بحسن الخلق!، وكمْ تعرف أُناسٌ إلى الاسلام بأخلاق أهله، ومن أمثال الأمم: «لا تُكثر حديثك إلي فإنما تقوله أفعالك

(23) جامع الترمذي» (1987) وقال: هذا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.
(24) «مسند أحمد» (13209).

يصم أذني».

ومن المهم التركيز على الدعوة العملية من خلال التعامل الحسن، سواء التعامل الفردي أو التعامل الجماعي، مثل إنشاء مشاريع تعالج مشاكل المجتمع، كمشكلة الفقر، ومشكلة المخدرات، ومشكلة الجريمة، ومشكلة الجهل، ونحو ذلك، فالمشاركة في إيجاد حلول لها هو وجه من وجوه الدعوة ووجوه الإحسان التي نؤجر عليها، سواءٌ أثّرت في استجابتهم للدين أم لم تؤثر، فهو عمل نتقرب إلى الله به، وهو في الوقت ذاته يعرِّف بنا وبديننا ورسالتنا.

الدعوة والعمل المؤسَّسي

على الإخوة الأئمة في كل مدينة تحويل عملهم إلى عمل مؤسسي له نظامه وله هيئته الإشرافية، بحيث يظل هذا العمل غير قابل للآفات التي تصيب الأعمال الفردية، فالأعمال الفردية لها آفاتها، والتي تضعفها أو تقضي عليها وتدمرها، أما عندما يصبح العمل مؤسسيّاً وله نظام حوكمة، وإشراف جماعي فإنه يكون قابلا للنمو والتطور، ويكون أكثر تأثيرا واستمرارية ويصبح عمره غير مرتبط بأعمار القائمين عليه، وهذا النوع من الأعمال هو الذي ينفع الناس ويمكث في الأرض.

وليحذر الدعاة في غربتهم من الفوضى المؤسسية التي لا يستقر معها حال، ولا تظهر بها ثمرة، فمن المستغرب أن يعيش الداعية المغترب في دولة متقدمة من حيث معايير الشفافية والمأسسة ولا يستفيد من واقعه شيئاً. ومن المؤسف أن نرى اليوم تحول كثير من المراكز الإسلامية في الغربة إلى مكاتب لأشخاص بأعيانهم لا يفارقونها ولا تفارقهم حتى يداهمهم الموت، ولا ينقضي العجب من جرأة البعض على تحويل ملكية بعض المساجد إلى ذواتهم وتسجيلها بأسمائهم لتتحول إلى ملكية خاصة تورث وتنقل، وهذا من العيب الصراح!

هـذه البيئـة الطـاردة لا تنتـج مشـروعاً، ولا يرجـى مـن خلالها إلا التعـرض للمصائـب، والانحـدار فـي متاهـات الفسـاد، وانعـدام المسـؤولية، وإظهـار الإسـلام فـي صـورة غيـر مرضيـة، وهـل يرى غيـر المسـلم إلا المسـاجد وأصحابهـا؟!

ولا عـذر للدعـاة المغتربيـن اليـوم فـي عدم الاسـتفادة مـن معايير الإدارة الحديثـة، والعمـل المؤسسـي، والشـفافية، والرقابـة، وهـي جميعهـا فـي متنـاول اليـد، وعنـد مـرأى النظـر والإمكان.

ومهمـا يكـن مـن أمـر، فـإن التجـرد لله، والصـدق فـي الدعـوة، وهضـم الـذات، وخفـض الجنـاح، وتذكـر الآخـرة، لا تحفـظ العمـل وحدهـا بمعـزل عـن مأسسـة المشـاريع، واتبـاع سـبل التخطيـط، والاسـتفادة مـن أهـل الذكـر فـي كل فـن.

أيهـا الدعـاة: الإدارة اليـوم، فـن مسـتقل، وعلـم متشـعب، يحتاج إلـى أخـذه مـن منبعـه، ولا عيـب ولا عتـاب علـى الداعيـة إذا لـم يكـن لـه فيها سـهم، بيـد أن العيـب والملامـة إذا ادعـى المعرفة، أو احتكـر العمـل، أو منـع غيـره مـن التصحيـح فتحـول إلـى ديكتاتور بثيـاب دينيـة!! نسـأل الله السـلامة والعافيـة.

التعريف بمعالم الإسلام

من المهم عند التعريف بالإسلام التركيز على أصول الإسلام التي تميزه، وأن يكون عرضنا للإسلام عرض تعريف بأصوله، والتي تقوم على تعظيم الله عَزَّوَجَلَّ، وأعظم تعظيم لله توحيده وإفراده عَزَّوَجَلَّ بالعبادة والتوجّه والقصد، وإظهار ما يحمله الإسلام من قيم تفتقر إليها القيم الغربية، التي حوّلت الحياة إلى ورشة عمل كبيرة، تطحن فيها الأعمار في غيبوبة عن حكمة الخلق ومصير الحياة ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: 36]. وأهم شيء في ذلك الإشباع الروحي والطمأنينة القلبية التي يجدها المسلم في إسلامه، فالقرآن دليل السير في هذه الحياة، يحدد للإنسان موقعه، ويرسم طريقه، ويوضح بدايته ونهايته، ويعطي قيمة لوجوده، ويخرجه من متاهة النظرة العبثية للحياة إلى حياة ثمينة وُجد الإنسان فيها لمُهِمّة ولغاية شريفة ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: 2].

وينسجم فيها الإنسان مع كل هذا الكون الهائل المحيط به بالعبودية لله والتوجّه إليه، واليقين بعظمة الله واطلاعه وقربه ومدده لعباده، كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ

تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»[25]. فيا لله كيف سيعيش من يوقن أنه بنظر الله، وكيف ستكون حياته مطمئنة مأنوسة. إنه سيضع الحياة وما فيها في حجمها الطبيعي، فيعيش فيها ونظره ممتد إلى الحياة الخالدة التي سينتقل إليها، وسيعبر شدائدها بثقة ويقين ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء: 77].

وكذلك عرض محاسن الإسلام، وبخاصة في الجانب الأخلاقي، وجانب التعامل والإحسان.

وعندما التقيت بسيدة مسؤولة عن الديانات في وزارة الداخلية في كولومبيا تحدثت معها عن هذا الجانب، وقلتُ: إنه لا يوجد كتاب ولا دستور تحدّث عن حقوق الأسير قبل القرآن، فالقرآن هو أول كتاب تكلم عن حقوق الأسير، فضلا عن حديثه عن حق اليتيم، والفقير، والغارم، لكن الأسير الذي الأصل فيه أنه جاء محاربا فعندما يؤسر ويكون في حال ضعف فإنه يصبح محل الإحسان وكان هذا ممّا أبهرها جدّاً.

ومحاسن الإسلام ووضوحه ونقاؤه العقدي تجذب الناس إليه، مع تجنب المواجهة مع الديانات الموجودة في كل بلد، وتجنب

(25) «صحيح البخاري» (50)، «صحيح مسلم» (8).

المناظرات مع النصارى أو البوذيين، فإن هذه المناظرات تؤجج الصراع والمنافسة، وقد تقضي على كثير من الفرص المتاحة، ولكن المطلوب هو حسن التواصل مع رجالات الديانات، وتعريفهم بالإسلام من خلال التعامل الحسن معهم، من غير تحرف للمواجهة ما أمكن.

وتصحيح التشويه الذي لحق بصورة الإسلام في كثير من البلاد، والتي كان جزء منها من صناعة جماعات الغلوّ الدموية، وجزء آخر من صناعة الإعلام المعادي، والذى يقدم هذه المشاهد على أنها الإسلام والمسلمون، وذلك نحتاج إلى بيان الجانب الرائع في التعامل مع المخالف، وبيان حقوقه وجوانب البر والإحسان في التعامل معه ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: 8]. وأن هذه الحقوق شُرِعَتْ قبل أن توجد المواثيق الدولية والمنظمات العالمية.

وكذلك مواجهة حملات التشويه بطريقة إيجابية تستغل الحدث وتُفعِّله ولا تنفعل به، فإذا جاءت حملة سخرية بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تواجَه بحملة بالتعريف بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبيان عظمته، وإذا وُجدت حملة استخفاف بالقرآن تواجَه بترجمة سور وآيات من

القـرآن تبيـن عظمته، ورعايتـه للحقـوق، وتعظيمـه للأنبيـاء، وتعزيزه للقيـم الأخلاقيّـة ونحـو ذلك.

وعنـد عـرض الاسـلام للتعريـف بـه ينبغـي أن يعـرض بطريقـة لا يستشـعر منهـا هـذا المدعـو محاولـة احتـواءه أو التأثيـر عليـه، وإنما هـو عـرضٌ لتعاليـم الدين ثـمّ تحميله هـو مسـؤولية الاختيـار واتّخاذ القرار.

الفتاوى في بلاد الأقلّيّات

تعرض للمسلمين في بلاد الأقليات نوازل واستفتاءات لها ملابستها الخاصة، ولذلك ينبغي على الداعية هناك التأني والرجوع إلى من عنده من أهل العلم تصور لهذه الظروف والإكراهات التي يتعرض لها المسلمون في هذا البلد، ومن ذلك الرجوع إلى المجامع الفقهية التي لها عناية بحال الأقليات الإسلامية، فإن للمسلمين في بلاد الأقلّيّات ملابساتهم وظروفهم الخاصة، واستشكالاتهم في مثل فتاوى التأمين، والقروض من البنوك لشراء السكن ونحو ذلك، ولا يصح أن تستورد لهم فتاوى من علماء يعيشون في بلاد إسلامية قد يكون لهم رسوخهم العلمي ولكن ليس لديهم تصور لواقع المسلمين في هذه البلاد، واطلاع على ظروفهم الخاصة، ولذا ينبغي الرجوع فيها للمجامع التي تدرس هذه المسائل مع مراعاة حال هؤلاء وظروفهم، ومن هذه المراجع الإفتائية:

1 ـ المجلس الأوربي للإفتاء ـ 2 ـ مجمع فقهاء الشريعة بأمريكا (أمجا) ـ 3 ـ مجمع الفقه الإسلامي بِجُدّة.

فلديهم خبرة بحال أهل هذه البلاد والظروف والملابسات المؤثرة في إفتائهم، وما ينبغي اعتباره في ظروفهم، وعند إفتائهم.

تكوين المجتمع المسلم

علينا أن نحرص على تقوية العلاقة بالمسلم الجديد واستمرارها، وربطه بجماعة المسلمين في بلده، وتقوية علاقته بالمسجد، وإيجاد رابطة بين المسلمين في بلادهم، وذلك بتكوين بيئة إسلامية بحسب المتيسر والمتاح، كالمدارس والجمعيات والروابط بين الفئات، كالروابط الطلابية والروابط التعليمية والروابط المهنيّة ونحوها، وجمعهم في اجتماعات دورية، خصوصا صلاة الجمعة والأعياد، فتوجِدُ نوعاً من التواصل بينهم، واستفادة بعضهم من بعض، وهذه الجمعيات والروابط تُشعرهم بالوحدة، وتدعم وجودهم بالتعاون والتلاقي والتناصح، والتجمع عصمةٌ لهم، وشدٌّ لأزر بعضهم ببعض، وتقوية علاقة المسلم الجديد بإخوانه، فإن الذئب إنما يأكل من الغنم القاصية.

والتركيز على الناشئة والأجيال القادمة وبخاصة أبناء المسلمين الجدد، بالتّعرّف عليهم، والتواصل معهم وتأهيلهم ودعم الموهوبين منهم.

واختيار النابهين ذوي الفعالية والتأثير لتأهيلهم للدعوة، واستنبات الدعاة في كلّ بلد من أهله، فهم أقدر على التّأثير والاستمرار، لتكون أعمارهم امتداداً لعمرك، وأعمالهم في ميزان عملك، وآثارهم بقيةٌ من أثرك.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

عبد الوهاب الطريري

التواصل مع المؤلف

Website:

Email:

Facebook:

YouTube:

Telegram:

TikTok:

WhatsApp:(+)905444055516

Twitter:

فهرس الموضوعات

تصدير 4

المقدمة 6

المهاجر بدعوته 8

امتداد أثر الداعية 10

لا نقطف الثمرة قبل نضجها 13

عالَميّة الدعوة 16

الثمرة أكبر من البذرة 19

الداعية والتنمية العلمية 21

المسلم والمسؤولية عن الإسلام 23

أخذ الدين باعتزاز وقوة 25

قوة التأثير وسرعة الانتشار 27

احتساب الاغتراب 29

وللغربة معاناتها 31

للاستجابة مراحلها 34

خير لك من حُمْر النَّعَم 35

الداعية الـمُقتحِم..... 37
الدعوة ووسائل التواصل 40
المحايدون هم المساحة الأوسع 42
الدعوة انفعال وتفاعل..... 44
البدء من نقطة الاتفاق..... 46
البدء بالأسس والـمُهِمّات..... 49
الحياة دعوة والدعوة حياة 53
لا تستتبع الماضي ولا تلفِت إلى الوراء 56
تحريش الشيطان 58
زاد التزكية..... 61
والخُلُق الحسن دعوة 63
الدعوة والعمل المؤسَّسي..... 65
التعريف بمعالم الإسلام..... 67
الفتاوى في بلاد الأقلّيّات..... 71
تكوين المجتمع المسلم..... 72